يؤدي الاستذكار في النص الحكائي وظائف عديدة فهو فضلاً عن وظيفته الجمالية والفنية يحقق عدداً من المقاصد الحكائية منها:

1 - ملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت إلى القصة أو باطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد.

2 - الإشارة إلى أحداث سبق للسرد أن تركها جانباً.

3 - اتخاذ الاستذكار وسيلة لتدارك الموقف وسد الفراغ الذي حصل في القصة.

4 - العودة إلى أحداث سبقت إشارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير.

5 - لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية سواء بإعطائها دلالة لم تكن لها أو لسحب تأويل سابق واستبدال تفسير جديد به[1].

مدى الاستذكار:

تنطلق حركة الزمن في السرد إما باتجاه الماضي أو المستقبل قليلاً أو كثيراً، بعيداً أو قريباً في اللحظة الحاضرة أي عن لحظة القصة التي تتوقف فيها الحكاية لتخلي المكان للمفارقة الزمنية ويسمي جيرار جينيت هذه المسافة الزمنية بمدى المفارقة الزمنية فالمدى "هو المسافة الزمنية الفاصلة بين اللحظة التي يتوقف فيها المحكي، واللحظة التي يبدأ منها الاحتلال الزمني"[2].

تتفاوت المقاطع الاستذكارية من حيث المدى فهناك استذكارات بعيدة المدى تعود بالقارئ إلى ماض بعيد جداً، وقد لا يمكن استرجاعها بصورة دقيقة تماما وإنما يلعب الخيال دورا فاعلا في إعادة تشكيلها وهي استذكارات تتعلق بمرحلة الطفولة ومراحل الدراسة الأولى التي لا تمثل تميزا بين كاتب وآخر وإنما تسير في

الدكتور عمر محمد الطالب، مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل، 1990. 92.

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، 1990.ص: 121 - 122.

(2) نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير، مجموعة من المؤلفين، ترجمة ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، ط1، الدار البيضاء، 1989.ص: 124.

سياق واحد بين كتاب السيرة ويغلب عليها جانب الاحتفاء بالأشياء العزيزة التي مرت وظلت تمثل مرحلة عمرية قد تكون عزيزة لدى كاتب السيرة، وهناك استذكارات قريبة تعود إلى الماضي القريب يمكن تحديدهما بشكل دقيق في حالة توافر القرائن الزمنية التي تدل على تاريخ الاستذكار. وقد يلجأ الكاتب إلى طمس مثل تلك القرائن الزمنية، أو ربما يعمد إلى تغييبها، فليس كل ما يذكره كاتب السيرة الذاتية هو كل ما عاشه، فهناك مساحات تظل غائبة ولحظات يحرص كاتب السيرة على عدم البوح بها، ويظهر ذلك بصورة جلية في أدب السيرة الذاتية العربية، فقد يكون المسكوت عنه يفوق ما يذكره الكاتب بسبب من سطوة الأعراف والتقاليد التي تحيط المجتمع العربي وتميزه عن المجتمع الغربي، إلا أن الإشارات التي يحرص بعض كتاب السيرة على نشرها في صفحات سيرتهم تشير بشكل أو بآخر إلى طبيعة المسكوت عنه الذي يتركون تأويله إلى القارئ ولهذه الاستذكارات القريبة والبعيدة المدى وظائفها البنائية والجمالية[1].

أما ذاكرة الأحداث فإنها تمثل المكون الأكبر لذاكرة السيرة الذاتية ويمكن الدخول إليها بواسطة مستوى الحدث العام على الرغم من أن المعلومة التي تسعى للحصول عليها تقع ضمن مستوى الحدث المعين، ولذا إذا كان كاتب السيرة الذاتية يحاول استرجاع تذكر معلم في المرحلة الابتدائية فإنه سيبدأ بذلك عن طريق الحدث العام ألا وهو الذهاب إلى المدرسة، وبمرور الوقت تتدرج الأحداث المعينة تحت نطاق الحدث العام، وكلما كان الحدث أكثر تميزا كانت ذاكرة ذلك الحدث أفضل.

إن مثل هذه الأطراف التي تتجاذب ذاكرة السيرة الذاتية لا بد من النظر إليها من خلال موقعها في المخطط ويجب أن تظل حاضرة في الذهن أثناء البحث، فالحدث الخاص يتم تذكره عن طريق الحدث العام المرتبط بدوره بذاكرة الأحداث حتى كأن لا انفصام بينهما، كما أن لترتيب ذاكرة الأحداث وفق تفرعين يبدأ بالعام وينتهي بالخاص لا يعني أنه ترتيب نهائي فقد يتم تذكر الحدث العام عن طريق

(1) فيصل غازي محمد النعيمي. تقنيات السرد الروائي عند غادة السمان، رسالة ماجستير بإشراف الدكتور إبراهيم جنداري جمعة، مقدمة إلى كلية التربية - جامعة الموصل، 1999.ص: 30.

حدث خاص وإن كان قليل الحدوث في كتابة السيرة الذاتية كما سوف يتضح في تضاعيف البحث.

لقد حدد الأستاذ حسن بحراوي عددا من المواثيق التي تتعلق بأدب السيرة الذاتية وهي الميثاق المرجعي والميثاق الروائي والميثاق السير ذاتي[1] وما يهمنا في إطار بحثنا هو الميثاق المرجعي والميثاق السير ذاتي؛ فالميثاق المرجعي خاص بفنون القول التي يتوخى الكاتب فيها الدقة العلمية والحقيقة التاريخية التي يمكن التحقق من صحتها بالرجوع إلى المصادر الأخرى أو تلك التي يحيل عليها الكاتب في النص، إذ يعمل هذا الميثاق على تحديد حقل الواقع المراد تصويره كما يحدد كيفية ودرجة التشابه الذي يزعمه النص بالواقع، أما الميثاق السير ذاتي فإنه يقوم على تلك العقدة التي يبرمها المؤلف مع القارئ لغاية التأكيد على التطابق بين المؤلف والبطل والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف.

أما إذا انتقلنا إلى حدود السيرة الذاتية كما وضعها فيليب لوجون فنرى أنها حدود تتعلق بالجانب الفني الذي يؤكد فيه لوجون على نثرية نص السيرة الذاتية مما يجعل النصوص الإبداعية التي تؤرخ لحياة الفرد لا تدخل ضمن هذه الحدود إذا كتبت شعرا فالحدود هي: (1 – شكل اللغة: فالسيرة الذاتية هي قصة نثرية. 2 – الموضوع المطروق: وهي تروي حياة فردية وتاريخ شخصية معينة. 3 – موقع المؤلف: إذ لا بدّ من التطابق بين المؤلف والسارد. 4 – تطور الحكي باعتباره حكيا استعاديا ضرورة)[2].

إن هذه الحدود التي وضعها فيليب لوجون تؤصل لمفهوم السيرة الذاتية من الناحيتين الشكلية والمضمونية، وهو إذ يحدد أن شكل اللغة هو شكل نثري فلا يعني هذا عدم وجود سير ذاتية شعرية إلا أنها لا تدخل ضمن مجال اهتمامنا كون السيرة الذاتية تدخل في إطار النصوص الواقعية التي لا نخترع أحداثا معينة محاولة منها ربط الواقع بالخيال وإنما هي إعادة بناء الواقع كما عاشه كاتب السيرة، كما أن

(1) حسن بحراوي، انساق الميثاق الاطوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة آفاق، المغرب، العدد 3 – 4، لسنة 1984.ص 43 – 46.

(2) عندما تتكلم الذات: ص12.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.